علم الرَّسْم القُرآني

تَعْرِيفه ونَشْأته ومَوَارِدُه

✍ إعداد الباحثة
هند بنت محمد عبدالله المزروع
محاضر في قسم الدراسات القرآنية - بكلية التربية
جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية
Hindmz212@gmail.com

علم الرَّسْم القُرآني تَعْرِيفه ونَشْأته ومَوَارِدُه

هند بنت محمد عبدالله المزروع
قسم الدراسات القرآنية – بكلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية
البريد الاليكتروني: Hindmz212@gmail.com

ملخص البحث

يهدفُ هذا البحث إلى التَّعريف بعلم الرسم القرآني، وعلاقته مراحله التاريخية، وحكمه، وقواعده، وأبرز مسائله، ومناهج التأليف فيه، وبيان المعول عليه من الموارد عند أهل كتب الفنِّ. ويتكوَّن البحث من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهرس.

الكلمات المفتاحية: الرسم القرآني، المصحف العثماني، مناهج، مصادر.

The science of Quranic drawing, its definition, origins and resources

Hind Bint Mohammed Abdullah Al-Mazrou

Quranic Studies Department - College of Education - King Saud University - Saudi Arabia

E-MAIL: Hindmz212@gmail.com

Abstract

This research aims to introduce the science of Quranic drawing, its relationship to its historical stages, its wisdom, its rules, its most prominent issues, its authoring methods, and the reliable statement of resources among the people of art books.The research consists of an introduction, five sections, a conclusion, and an index.

Keywords: Quranic drawing, the Ottoman Qur'an, curricula, sources.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم آخر رسالات السماء إلى الأرض، وقد تكفل الله – عز وجل- بحفظه بنفسه، فقال في كتابه المكنون، ودره المصون: ﭽ إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون ﭼ [سورة الحجر:٩] .

ولم تعرف البشرية كتاباً حظي بالعناية والاهتمام على مدى الأجيال مثل القرآن الكريم، سواء من حيث كتابته، ورسم حروفه، أم من حيث تلاوته وتحقق قراءته، أم من حيث معرفة أحكامه ومبانيه، وبيان معانيه.
فمن حيث كتابة ورسم حروفه روى علماء الرسم -وسجلوا في كتبهم- وصف هجاء كل كلمة وردت في المصحف، خاصة تلك التي تميزت برسم معين، إذ ما أن وصلت المصاحف التي كتبت في المدينة في خلافة عثمان -رضي الله عنه- إلى الأقطار الإسلامية؛ حتى سارع المسلمون إلى نسخ المصاحف منها، حرفاً بحرف، وكلمة بكلمة، فروى الأئمة عن المصاحف العثمانية – أصولاً وفروعاً – طريقة رسم الكلمات.

وسأحاول – بإذن الله– في هذا البحث الوجيز إلقاء الضوء على هذا العلم العزيز في خمسة مباحث؛ وقد جاءت في هذه الصورة:

المبحث الأول: كتابة القرآن في العهد النبوي.
المبحث الثاني: كتابة القرآن في عهد الخلفاء الراشدين.
المبحث الثالث: هل المصحف العثماني مشتمل على جميع الأحرف السبعة؛ أم لا؟
المبحث الرابع: قواعد الرسم العثماني، وحكمه.
المبحث الخامس: أهم مصادر الرسم العثماني.

وقد حاولت في أثناء كتابة هذا البحثِ الالتزامَ بالمنهج المتَّبع في كتابة البحوث العلمية، وراعيت فيه الإيجاز والاختصار، وانتقاء النصوص والآثار، وأجملُ منهجي في الآتي:

- التزمتُ بكتابةِ الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ على رواية حفص عن عاصم، واخترتُ الإشارةَ إلى اسم السُّورة، ورقمها في المتنِ بين معقوفتين.
- لم ألتزم بالترجمةِ لكلِّ علمٍ ذكرتُ له قولًا، أو رأيا؛ لئلَّا أثقل البحثَ بالهوامش، واكتفيتُ بالإشارة إلى سنة وفاته بين قَوسين.

- ذيَّلتُ البحث بفهارس فنيَّة، تساعدُ على كشفِ محتوياته، والإفادة منه.

والله أسأل أن يجعلنا من أهل أصدق الكلام،
والسَّائرين على منهج خير الأنام.

المبحث الأول
كتابة القرآن في العهد النبوي

كان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم- يتلو القرآن على صحابته الكرام، ويأمرهم بتعهده خشية نسيانه، وآفة الحفظ النسيان.

وقد عُني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكتابة القرآن، فجنّد له كتّابا مهرة جهابذة، من هؤلاء: الخلفاء الأربعة، ومعاوية، وأبيّ ابن كعب وغيرهم، فكان كلّما نزل عليه شيء من القرآن، دعا أحد كتبته، فأمره بكتابة ما نزل. وقد نقل الصحابة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان كلما نزل عليه الوحي دعا بعض من يكتب له، فيقول له: (ضع هذه الآية أو الآيات في السورة؛ التي يذكر فيها كذا وكذا) [1].

واشتُهر جمعٌ من الصَّحابة بحفظِ القرآن وإقرائهِ، ووجَّه رسُول ﷺ بعضَهم إلى البلدان؛ ليعلِّموا النَّاس القرآن، ويُفقِّهوهم في الدِّين، فقدْ بَعث مصْعبَ بنَ عُميرٍ، وابنَ أمِّ مكتومٍ إلى المدينةِ قبْل الهجرةِ لتعليم القرآنِ، وأرصدَ معاذ بنَ جبْلٍ بمكَّة بعْدَ الفتح للإقراءِ، وأمر الله – عز وجل- رسوله

(١) أبو داود: كتاب السنن (١/ ٢٠٩).

-صلى الله عليه وسلم- بأن يقرأ على أبيٍّ؛ ليسمعَ ألفاظهُ، فيعلِّمها النَّاسَ[1].

ولم تتوقف كتابة القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حتى اكتملت كتابته -كله-؛ لكنه لم يكن قد جمع في مكان واحد، وإنما كان مفرَّقا في الرقاع والألواح والعسب

وقد نقل الطبري (ت٣١٠هـ) عن الزهري أنه قال: (قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء، وإنما كان في الكرانيف والعسب)[2].

وقد كتابة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تخضع للمراجعة والتدقيق، في مرحلتين:

الأولى: عند كتابة الآيات التي ينزل بها جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الثانية: مراجعة القطع التي كتب عليها القرآن وترتيبها، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن لم يجمع في صحف مرتَّبة مجموعة في مصحفٍ واحدٍ.

(١) انظر: فتح الباري (٩/٢٦).

(٢) جامع البيان (١/٢٨).

يقول الإمام الداني(ت٤٤٤هـ) جامعه:

(وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنَّ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك، وأملاه على كتبته، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يمت؛ حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الباقون منه جميعه متفرِّقا، وعرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك اليوم من ليس من الحفّاظ لجميع القرآن) [(١)].

ويوضِّحُ الإمام الأندرابي (ت٤٧٠هـ) ماهيَّةَ الاختلاف في القراءة بين الصَّحابة في العهد النبوي؛ فيقولُ:

(واعلم: أنَّ الاختلافَ بين القرَّاء في قراءة القرآن كان على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نوعين:

الأوَّل: اختلاف في رسوم الخطوط، و إبدالُ كلمة مكان أخرى بمعنى صاحبتها، نحو قوله - عزَّ وعلا-: ﴿ ڤ ڤ ﴾ ، وهو في مصحف ابنِ مسعودﷺ: (**كالصُّوف المنفُوش**)، ونحو قوله: ﴿ ې ې ﴾ وفي بعضِ القراءات:(فامْضُوا)، ونحو قوله: ﴿ ڃ ﴾ وفي بعضها:(وغَير الضَّالين)، مع أشياء لهذا كثيرة.

الثَّاني: اختلاف في مسموع الحرف، وحركات بنائها باتّفاق الخطوط، نحو قوله:

(١) (١/١٣٠).

(**عَليهِم**) و(**عليهُم**)، و(**مالك**) و(**ملك**)، و(**السِّراط**) و(**الصِّراط**)، و(**يَكذِبون**)، (**يُكَذِّبون**)، و(**يُخادعون**)و(**يخدعون**)، وما أشبهَ ذلكَ.

وكانت الصَّحابة- رضي الله عنهم- يقرؤون بهذين النَّوعين، ويقرؤون غيرهُم بهما في أمصار المسلمين على سبيل ما أقرأهم رسُول الله- صلى الله عليه وسلم- من عهده إلى زمن عثمان- رضي الله عنه-؛ فانتشرت الحروفُ، وكثُرت القراءاتُ) [1].

(١) الإيضاح (١/٣٢٨-٣٢٩).

المبحث الثاني
كتابة القرآن في عهد الخلفاء الراشدين

كثرت في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصِّديق- رضي الله عنه- الحروب، واستشهد كثيرٌ من حفَّاظ القرآن في حرب أهل الردَّة؛ ففي معركة اليمامة- وحدها- أُستشهد سبعون حافظًا منهم؛ فاقترح عمر- رضي الله عنه- عليه أن يُجمع القرآن.

ولم تلق الفكرة في بدء الأمر موافقة من أبي الصِّديق؛ الذي كان شديد الحرص ألّا يعمل عملا لم يعمله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لكن المراجعة التي حصلت بعد عرض الفكرة أدَّت إلى اقتناعه بها، وتمَّ تكليف الصحابيِّ زيد بن ثابتٍ بالقيام بهذا العمل [(١)].

وقد اجتمع لزيد من الرِّقاع، والأكتاف، وجريد النخل، ومن كل ما كتب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

ولقد كان جمع القرآن من أعظم الأعمال التي كانت في عهد الصديق؛ إن لم يكن أجلها، وقد جاء عن علي -رضي الله عنه- قوله:(أعظم الناس أجرا

(١) انظر- مثلا-: فتح الباري لابن حجر (١٩/٩).

في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع القرآن بين اللوحين)، وقوله – أيضا–: (رحم الله أبا بكر، كان أوَّل من جمع القرآن بين اللوحين) [(١)].

وقد جُمع القرآن الكريم في عهد الصدِّيق بجميع حروفه ووجوهه التي نزل بها على لغة قريش وغيرها.

وتفرَّق الصَّحابة الأبرار – رضي الله عنهم– في زمن العُمَرين – رضي الله عنها– في الأمصار، يُقرئون القرآن، كثرت البلاد التي دخلت في الإسلام في زمن خلافة عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–، وصاحب ذلك جهود كبيرة من الصحابة في تعليم النَّاس تلاوة القرآن والفقه في الدين [(٢)].

وكانوا يقرؤونهم القرآن على ما كانوا يقرءون في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ الذي رخّص لهم بقراءة القرآن بالنطق الذي يستطيعونه؛ نظرًا لاختلاف لهجاتهم، وتنوّع لغاتهم، وكانت كتابة القرآن في الأمصار تعتمد على قراءات الصَّحابة؛ الذين نزلوا فيها (وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة؛ كمصحف ابن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أبيّ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب الأحرف السَّبعة التي أنزل القرآن عليها)[(٣)].

(ثمَّ قامُوا بذلكَ مقام الصَّحابة الذين تلقَّوه عن النبيِّ– صلى الله عليه وسلم–؛ ، **فمِمَّن كان بالمدينة**: ابنُ المسيِّب، وعروةُ، وسالمٌ، وعمرُ بن

(١) المصاحف لابن أبي داود (ص٥).

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥٧).

(٣) المحرر الوجيز (١/٦٥).

عبد العزيزِ، وسليمانُ، وعطاءُ بن يسار، ومعاذُ بن الحارثِ- المعروفُ بمعاذِ القارئ-، وعبد الرَّحمنِ بن هُرمز الأعرجِ، وابنُ شهاب الزُّهري، و ُسلم بن جندبٍ، وزيدُ بن أسلمَ ، **وبمكة**: عبيدُ بن عُمير، وعطاءُ، وطاووسُ، ومجاهدُ، وعكرمةُ، وابنُ أبي مُليكةَ، **وبالكوفة**: علقمةُ، والأسودُ، ومسروقٌ، وعبيدةُ، وعمرو بن شَرحبيل، والحارثُ بن قيسٍ، والرَّبيع بن خَيثم، وعمرو بن ميمونَ، وأبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، وزِرُّ بن حبيش، وعبيدُ بن نضيلةَ، وأبو زرعةَ ابن عَمرو بن جرير، وسَعيد بن جبير، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، والشعبيُّ، **وبالبصرة**: عامرُ بن عبد قيسٍ، وأبو العاليةِ، وأبو رجاءٍ، ونصرُ بن عَاصمٍ، ويحْيى بن يَعمرَ، ومعاذُ، وجابرُ بن زيد، والحسنُ، وابن سيرينَ، وقتادةُ، **وبالشام**: المغيرةُ بن أَبي شِتهَاب المخزوميُّ - صاحبُ عثمانَ بن عفانَ في القراءة-، وخُليد بن سعدٍ - صَاحب أبي الدَّرداءِ-)[1].

(لما كانَ في نحو ثلاثينَ من الهجرةِ في خلافةِ عثمان – رضي الله عنه- حضر حذيفةُ بن اليمان – رضي الله عنه- فتحَ أرمينيَّة وأذربيجانَ؛ فرأى النَّاس يختلفَون في القرآن، ويقول أحدهُم للآخر: قراءتي أصحُّ من قراءتك، فأفزعهُ ذلك، وقَدِمَ على عثمان، وقال: أدركْ هذه الأمَّة قبْل أن يختلفوا اختلافَ اليهودِ والنَّصارى؛ فأرسلَ عثمانُ إلى حفصةَ أنْ أرسلي إلينا بالصُّحفِ؛ ننسخُها ثم نردُّها إليكَ؛ فأرسلتْها إليهِ، فأمرَ زيدَ بنَ ثابتٍ، وعبدَ الله بنَ الزُّبير، وسَعيدَ بنَ العاص، وعبدَ الرَّحمنِ بنَ الحارثِ بن هشام

(١) النشر (١/١٤-١٥).

– رضي الله عنه– أن ينسخُوها في المصَاحف، وقال: إذا اختلفتُم أنتم وزيدٌ في شيءٍ، فاكتبوهُ بلسان قريش؛ فإنَّما نزل بلسَانهم، فكتبَ منها عدَّة مصاحفٍ، فوجَّه بمصحفٍ إلى البصْرةِ، ومصحفٍ إلى الكُوفةِ، ومصحفٍ إلى الشَّام، وترك مصحفًا بالمدينةِ، وأمسك لنفسهِ مصحفًا الذي يقالُ له: (الإمامُ)، ووجَّه بمصحفٍ إلى مكَّةَ، وبمصحفٍ إلى اليمنِ، وبمصحفٍ إلى البحْرينِ.

وأجمعت الأمَّة المعصومةُ من الخطأِ على ما تضمَّنته هذه المصَاحف، وتركِ ما خالفها من زيادةٍ ونقص، وإبدالِ كلمة بأخرى؛ مما كان مأذونًا فيه توسعةً عليهم، ولم يَثبتْ عندهم ثبوتاً مستفيضًا أنَّه من القرآنِ، وجُرِّدت هذه المصاحف جميعها من النَّقطِ والشَّكل؛ ليحتمِلَها ما صحَّ نقلهُ، وثبت تلاوتُه عن النبي – صلى الله عليه وسلم–؛ إذْ كان الاعتمادُ على الحفظِ، لا على مجرِّد الخطِّ، وكانَ من جملة الأحرف التي أشار إليها – صلى الله عليه وسلم–؛ بقولهِ:

(**أُنزل القرآنُ على سَبْعةِ أحرف**)، فكُتبت المصاحفُ على اللَّفظِ الذي استقرَّ عليه في العَرضةِ الأخيرةِ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ كما صرَّح به غَير واحدٍ من أئمَّة السلفِ –كمحمَّد بن سيرينَ، وعُبيدةَ السَّلمانيِّ، وعامر الشعبيِّ–، قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–:(لو وُلِّيت في المصَاحفِ ما وُلِّي عثمان؛ لفعلتُ كما فعلَ)، وقرأَ كلُّ أهل مصرٍ بما في مصحفهم، وتلقَّوا ما فيهِ عن الصَّحابة الذين تلقَّوه من فيْ رسول الله

صلى الله عليه وسلم-، ثمَّ قاموا بذلك مَقام الصَّحابةِ الذين تلقَّوه عن النبي - صلى الله عليه وسلم-؛) (١).

وقال الإمامُ الدانيِّ في جامعه:

(أميرُ المؤمنينَ عثمان- رضي الله عنه-، ومَن بالحضرةِ من جميع الصَّحابة قد أثبتوا جميعَ تلك الأحرفِ في المصَاحف، وأخبروا بصحَّتها، وأعلموا بصَوابِها، وخيَّروا النَّاس فيها كما كانَ صَنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وأنَّ مِن هذه الأحرف حرفَ أبيٍّ بن كعب، وحرفَ عبدِ الله بن مَسعودٍ، وحرفَ زيد بن ثابت، وأنَّ عثمان - رحمه الله تعالى-، والجماعة: إنَّما طَرحوا حروفًا، وقراءاتٍ باطلةٍ غير معروفةٍ، ولا ثابتةٍ؛ بل منقولةٌ عن الرسول — صلى الله عليه وسلم- نقلَ الأحاديثِ التي لا يجوز إثباتُ قرآنٍ، وقراءاتٍ بها) (٢).

وجاءَ في منجد المقرئينَ لابن الجزريِّ (ت ٨٣٣هـ):

(فكتبُوا المصاحفَ على لفظِ لغَة قريشٍ، والعرضةِ الأخيرةِ، وما صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم-؛ واستفاضَ، دون ما كانَ قبل ذلكَ مما كانَ بطريق الشُّذوذ والآحاد من زيادةٍ، ونقصانٍ، وإبدالٍ، وتقديمٍ، وتأخيرٍ، وغيرِ ذلكَ، وجرَّدوا المصَاحفَ عن النَّقط والشَّكل؛ لتحتملَ صُورةً ما بَقِي من الأحْرفِ السَّبعة كالإمالةِ، والتَّفخيم، والإدْغامِ، والهمْز، والحركاتِ، وأَضدادِ

(١) النشر (١/١٤).

(٢) (١/١٢٩).

ذلكَ مما هُو في الأحرف السَّبعة؛ غيرَ لغةِ قريشٍ، وكالغَيب، والجمعِ، والتَّثنيةِ، وغيرُ ذلكَ من أضْدادِها ممَّا تحتملهُ العرضةُ الأَخِيرةُ؛ إذْ هُو موجودٌ في لغةِ قريشٍ، وفي غيرها، ووجَّهوا بِهَا إلى الأمصَار فأجمعَ النَّاس عليها) [1].

والحكمةُ من نسْخ عدَّةِ مصاحفَ هِيَ إنفاذُ ما وقعَ الإجماعُ عليهِ، والاستنادُ إليهِ، وإيصالُه إلى بقيَّة أقطَار المسلمينَ، وإشهارهُ بينهُم، والإجماعٌ حجَّةٌ، وأصلٌ من أصُولِ الشَّرعِ [2] .

(١) (ص ٩٥- ٩٦).

(٢)انظر: السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات (ص٤٥-٤٦).

المبحث الثالث

هل المصحف العثماني مشتمل على جميع الأحرف السبعة؛ أم لا؟

جاء عند القَاضِي أبو بكر الباقلاَّني(ت٤٠٣هـ) في كتاب الانتصَار:

(فأمَّا الرِّواياتُ الوارد عنه – صلى الله عليه وسلم – بأنَّ القرآنَ منزلٌ على سَبعةِ أحرفٍ؛ فإنَّها كثيرةٌ متظاهرةٌ مشهورةٌ عندَ أهل العلمِ والنَّقل، وهِيَ أكثرُ شيءٍ رُوي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكلُّها مع اختلافِ ألفاظِها، وطرقِها متوافيةٌ على المعنى، فيجبُ لذلك وصولُ العلمِ بمتَضمَّنها؛ وإن اختلفت ألفاظُها، وتشعَّبت طُرقها) [(١)].

ولم يأت في بيان المراد بهذه الأحرف السَّبعة نصٌّ ولا أثرٌ، وقد اختلف العلماءُ النَّحاريرُ- سلفًا وخلفًا- في تفسيرها، وبيان معناها، وتفسير مدلولها، وكثرت الأقوال في ذلك؛ حتى ناهزت أربعينَ قولًا [(٢)].

وقد اختلف في هذه المسألة على قولين:

الأوَّل: أنَّها مشتملةٌ عَليها كالصُّحف الصدِّيقيَّة، وهو قولُ جماعةٍ من الفقهاءِ، والقرَّاء، والمتكلِّمينَ.

(١) انظره: (٣٥٥/١).

(٢) انظر: البرهان للزركشي (٢٢٧/١)، والإتقان للسيوطي (١٦٣/١).

الثاني: أنَّها مشتملةٌ على ما احتملهُ الرَّسمُ، وهُو قُول جماهير العُلماءِ من السَّلف والخلفِ.

وهُم متَّفقونَ على أنَّ الأحرف السَّبعة لا يخالف بعضُها بعضًا؛ خلافًا يتضادُّ في المعنى ويتناقضُ؛ بلْ يصدِّق بعضُها بعضًا -كما تصدِّق الآياتُ بعضُها بعضًا- [1].

(ومقتضى كلام الشاطبيِّ في العقيلة، وصرَّح به الجعبريُّ، وابن الجزريِّ في المنجد وغيرهما؛ أنَّ الصُّحف المكتوبةَ بإذن أبي بكرٍ كانت مشتملةً على الأحرف السَّبعة، وأمَّا المصاحفُ العثمانيَّة؛ فقد اختلفوا في اشتمالها عليها؛ فذهبَ جماعةُ القرَّاء والفقهاء، والمتكلِّمينَ إلى أنَّ جميعَ المصاحف العثمانية مشتملةٌ على جميع الأحرف السَّبعة، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها مشتملة على حرفٍ واحدٍ، وذهب جماهير العلماء من السَّلف والخلف إلى أنَّها مشتملة على ما يحتمله رسمُها من الأحرف السَّبعة -فقط-، جامعة للعرضة الأخيرة؛ التي عرضها -صلى الله عليه وسلم- على جبريل، ولم تترك حرفًا منها، وهذا القول الثالثُّ قال في النَّشر:

(هو الذي يظهرُ صوابُه؛ لأنَّ الأحاديث الصَّحيحة، والآثار المشهورة تدلُّ عليه) [2].

---

(١)مجموع الفتاوى (٤/٤١٤).

(٢) نقلا عن دليل الحيران على مورد الظمآن للمارغني (ص١٨)، وانظر: النشر (٢/٩٩).

وقد تبَّين مما سبق أن الذي حمل عثمان على القيام بنسخ الصحف في المصاحف، وهو الاختلاف الذي حصل في قراءة القرآن، وعدم وجود المصاحف الموحدة بأيدي الناس لكي يرجعوا إليها في ضبط قراءتهم المصدر الذي اعتمد عليه في كتابة المصاحف، وهو الصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن في خلافة أبي بكر الصديق، معتمدا على القطع التي كتب عليها القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك تكون المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان تمثل نسخة مرتبة للقرآن الذي كتب بإملاء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد حفل الرَّسم القرآني بعد جمع عثمان - رضي الله عنه- بميزات عدَّة، من أبرزها:

١ - الاقتصار على ما ثبت تواتره، وترك ما سواه من زيادات الآحاد.

٢ - إهمال ما نسخت تلاوته، ولم تستقر في العرضة الأخيرة.

٣ - ترتيب السُّور والآيات على الوجه المعروف- الآن- بخلاف صحف أبي بكر- رضي الله عنه-؛ فقد كانت مرتبة الآيات دون السُّور.

٤ - كتابته بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة، والأحرف التي نزل بها القرآن.

٥ - تجريده من كل ما ليس قرآنا، كالذي يكتبه بعض الصَّحابة في مصاحفهم الخاصة، شرحا لمعنى، أو بيانا لناسخ ومنسوخ، وغير ذلك [١].

(١) انظر: موسوعة علوم القرآن (ص ١٩).

المبحث الرابع: قواعد الرسم العثماني، وحكمه.

كانت المصاحف العثمانيَّة مجرَّدة من النَّقط، وخالية من الشَّكل؛ وذلك لتحتمل القراءات.

وللمصحف العثماني في رسمه قواعد حصرها علماء الفن في ستة، هي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والفصل والوصل ، وما فيه قراءتان

١- قاعدة الحذف : وذلك كحذف الألف في (يأيها)، و الياء في (باغ) ، والواو في (فأوا).

٢- قاعدة الزيادة : وذلك كزيادة الألف في (تفتؤا)، و الياء في (بأييد)، والواو في (أولو).

٣- قاعدة الهمز : وذلك كأن تكتب حال سكونها بحرف حركة ما قبلها (ائذن) ، (اؤتمن).

٤- قاعدة البدل : وذلك ككتابة الألف واواً للتفخيم كما في (الصلوة) ، وكتابة النون ألفاً في نون التوكيد المخففة كما في (لنسفعاً)، و هاء التأنيث تاء مفتوحة في نحو (رحمت).

٥- قاعدة الوصل والفصل : وذلك كوصل (أن) بـ(لا) ، و (عن) ، و(كل) بـ (ما)

٦- قاعدة ما فيه قراءتان : فإنه يكتب برسم إحداهما لتشمل القراءتين، نحو: (ملك)، و(ومالك). [1].

وهل رسم المصحف توقيفي أم اجتهادي؟

(للعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة:

الرأي الأول: أنه توقيفي لا تجوز مخالفته.

وذلك مذهب الجمهور. واستدلوا بأن النبي -صلى الله عليه وسلم -كان له كتاب يكتبون الوحي وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول على كتابتهم ومضى عهده - صلى الله عليه وسلم- والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل؛ بل ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم القرآن وكتابته.

ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ثم حذا حذوه عثمان في خلافته؛ فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة، وأقر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عمل أبي بكر وعثمان -رضي الله عنهم- أجمعين.

وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين، وتابعي التابعين، فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم، ولم ينقل أن أحدا منهم فكر أن يستبدل به رسما آخر من الرسوم؛ التي حدثت في عهد ازدهار التأليف ونشاط التدوين وتقدم

(١) انظر- للمزيد-: الميسر في رسم المصحف وضبطه د. غانم (ص١٠٥-١٧٧).

العلوم. بل بقي الرسم العثماني محترما متبعا في كتابة المصاحف لا يمس استقلاله ولا يباح حماه.

الرأي الثاني:

أنَّ رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفي؛ وعليه فتجوز مخالفته، وممن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون في مقدمته، وممن تحمَّس له القاضي أبو بكر في الانتصار إذ يقول ما نصُّه:

(وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا؛ إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه؛ إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف).

الرأي الثالث:

يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان إلى ما يفهم من كلام العز ابن عبد السلام؛ من أنه يجوز بل تجب كتابة المصحف -الآن- لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني الأول لئلا يوقع في تغيير من الجهال. ولكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين بل يبقى في أيدي العارفين الذي لا تخلو منهم الأرض. وهاك عبارة التبيان في هذا المقام إذ يقول ما نصه:

وأمَّا كتابته أي المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؛ فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل. هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؟ فقال: لا: إلا على الكتبة الأولى. قال في البرهان: قلت: (وهذا كان في الصدر الأول والعلم حي غض. وأما الآن فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال. ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم) [1].

والذي جمهور العلماء من أهل الفنِّ على القول بوجوب اتِّباعه، والأخذ به، والمحافظة عليه. وقد صارت سنة مأثورة يؤخذُ بها.

يقول الإمام الداني:

(وسئل مالك -رحمه الله- هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؛ فقال لا إلا على الكَتْبة الأولى) [2].

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/٣٧٨-٣٨٥) بتصرف.

(٢) المقنع في مرسوم المصاحف (ص ١٩).

المبحث الخامس
أهم مصادر الرسم العثماني

رغم أن المؤلفات الأولى في رسم المصحف لم يصل إلينا منها شيء؛ فإن الكتب التي ترجع إلى فترات متأخرة نسبياً قد نقلت ما جاء في تلك الكتب رواية، ومن أهم الكتب والمصادر المؤلفة في رسم المصحف [1] .

١-(**المقنع**) لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) .

وهو أجمع الكتب التي تكلمت على رسم المصحف ، وقد تكفل فيه صاحبه برسم القراءات السبع كلها أتى فيه بنص صريح مقنع كاف لمن اقتصر عليه، وهو مفيد في الرسم وعليه اعتمد كثير ممن أعتنى بعلم القرآن.

ومن معالمه أنه قسَّمه إلى ثلاثة وثلاثين باباً ويندرج تحت كل باب فصولاً، والكتاب مطبوع طبعات كثيرة منها طبعة دار الفكر بتحقيق محمد أحمد همان ابتدأ المؤلف فيه بذكر جمع القرآن في المصحف أولاً؛ ثم ذكر ما رسم في المصاحف بالحذف والاثبات وعدد أبواباً في ذلك وذكر بالختام باب ما اتفقت على رسمه أهل الامصار من أول القرآن إلى آخره.

وبيَّن سبب اختلاف مرسوم المصاحف، وسبب جمع عثمان للقرآن في مصاحف ثم ذكر المؤلف كتاب النقط تكلم فيه على نقط المصاحف ومن

(١) الإتقان للسيوطي ٢(٢/١٤٥).

ابتدأ ذلك ومن أنكره من التابعين، ثم ذكر في باب مواضع الحركات من الحروف وتراكب التنوين وتتابعه وفي العموم يعد هذا الكتاب مرجعاً أصيلاً في بابه.

٢-منظومة العقيلة للإمام أبي القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) .

وقد نظم فيها الشاطبي جميع مسائل كتاب المقنع للداني، ومن شروحها:

أ. شرح تقرير الجميلة لمنادمة العقيلة للإمام الزبيدي.

ب. كتاب (الوسيلة إلى شرح العقيلة) للإمام السخاوي.

ج. شرح الامام الجعبري.

د. شرح الإمام علي القاري.

٣- نظم مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن للخراز (ت٧١٨هـ).

وهي منظومة تكفل فيها صاحبها بذكر خلافيات المصاحف في الرسوم باعتبار قراء الإمام نافع فقط.

أمَّا مصادر الخراز في هذا القسم فقد جعل عمدته في ذلك (المقنع) و(العقيلة) وما ذكره ابو داود سليمان بن نجاح في (التنزيل)؛ فجاءت المنظومة جامعة لما ورد في أمَّهات مصادر الرسم شاملة للمشهور من أوجه الخلاف بين تلك المصادر؛ فكانت مهيأة لأن تكون الأساس الذي يعتمد عليه في رسم المصاحف على المأثور في رسم المصاحف العثمانية [1].

(١) رسم المصحف ونقطه د. غانم قدوري (ص ١٤٩ – ١٥٠).

وقد تعددت شروح العلماء على مورد الظمآن؛ لكن أشهر شروحها هو شرح عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري (ت١٠٤٠ هـ)؛ الذي سماه (فتح المنان المروي بمورد الظمآن) [1].

٧- كتاب (دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن)؛ للشيخ إبراهيم بن أحمد المرغني التونسي.

(١) المرجع السابق (ص ١٥١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحابته الميامين، وعلى كل سار على منهاجه، واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فبعون من الله فرغت من كتابة صفحات هذا البحث، والذي هدفت من خلاله أن ألقي الضوء على الرسم القرآني وعلاقته بجمع القرآن في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين.

وبيان حكمه وأحكامه، وإيراد أهم موارده المتعمد عليها، والمستند إليها.

ويبقى المؤمَّل عفوُ كلِّ من تكرَّم بإلقاءِ نظرة فيه، أو استدرك عليه.

واللهَ أسألُ أن يوفِّقنا لصالح العمل، ويغفرَ لنا الزلل، وأن يكرمنا بنيل المرَام، وحسن الختام، ودخول دار السَّلام، وصحبةِ خير الأنام.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس أهم المصادر والمراجع

- **جامع البيان عن تأويل القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط٢، بدون تأريخ.
- **جامع البيان في القراءات السبع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق مجموعة من الباحثين في جامعة أم القرى، طبع كلية الدراسات العليا والبحث بجامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، دار الفكر.
- **مجموعة مهمة في القراءات والتجويد والرسم وعد الآي**، تحقيق: جمال السيد رفاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ.
- **محاضرات في علوم القرآن**، للدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **المحكم في نقط المصاحف**، لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ.
- **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود سليمان نجاح، تحقيق الدكتور. أحمد بن أحمد شرشال، طبع في مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للشيخ عبد العظيم الزرقاني،

مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٣، بدون تأريخ.

- **الميسر في علم رسم المصحف وضبطه**، للدكتور غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنيَّة بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط٢، ١٤٣٧هـ.